

فاعلية الفكر النقدي العربي الحديث منهجية المسدي أنموذجاً

م. م. بان محمد طاهر
جامعة بغداد - كلية العلوم للبنات

حفلت ساحة النقد العربي الحديث بالعديد من النقاد المبدعين الذين كان لهم شأن بعيد المدى في التقدم بواقع النقد العربي خطوات كبيرة نحو الأمام ويعد التونسي (عبد السلام المسدي) واحداً من أولئك المبدعين الذين جسدوا بكتاباتهم النقدية منعطفاً مهماً لفت إليه الأنظار لأسباب منها تعاطيه مع مناهج نقدية حديثة وافدة على ساحة النقد العربي الحديث الذي بقيت بعيدة عنه لحقبة زمنية طويلة بسبب من صعوبة هذه المنهجيات واستعصائها على الاستيعاب والفهم من لدن الكثيرين وما تتطلبه من موضوعية ودقة علمية تجعل عملية تناقلها أمراً تكتنفه بعض الصعوبات، الامر الذي كانت له انعكاساته على ناقدنا العربي الذي حاول فك شفرات غموضها ووقف عندها طويلاً متأملاً ومحللاً لكي يعيد بلورة مفاهيمها وتقديرها بصورة أوضح للقارئ العربي وقد استطاع المسدي التوغل إلى اعماق هذه المناهج ذات المنشأ الغربي والتي تعذر وصولها إلى البيئة الثقافية العربية مبكراً لتصلنا متأخرة عن الغرب وسرعان ما يتلقفها العديد من نقادنا العرب معلنين البدء (بتدشين) مرحلة نقدية عربية حديثة وبدء الاخذ بمفاهيمها ومنطلقاتها تنظيراً وتطبيقاً لتصبح واقعاً جديداً شق طريقه وانعطف بمسار والنقد العربي بكل ما تشكله هذه المسألة من ابعاد وملابسات سعت إلى تخطي المنهجيات التقليدية السابقة لتعيد انتاج واجترار هذه المنهجيات الحديثة ومن زوايا مختلفة بغية التوصل إلى ما ينفذ الغبار عنها لتسير في رحاب نقدنا العربي الحديث بعد ان ظل قروناً طويلة حبيس الافق النقدي الضيق وهو يتابع ما أثاره النقد الغربي من حادثة بكل ما تحمله هذه الكلمة أو الفكرة من تحولات تحمل بين طياتها مشروعاً نقدياً جديداً اخذ يهيمن على المناخ النقدي العربي مؤخراً.

وسنختار من مؤلفاته النقدية الصادرة وبحسب توافرها لدينا وحصولنا عليها اربعة كتب هي (الأسلوب والأسلوبية نحو بديل السني في نقد الأدب 2006) و(في آليات النقد الأدبي 1992) و(اللسانيات من خلال النصوص 1984) و(الأدب وخطاب النقد 2008) لنستقصي منها أهم المناهج التي شكلت بدورها مدخلاً حقيقياً لفهم التجربة النقدية لديه .

البداية الحقيقية للمسدي كانت مع كتابه (الأسلوب والأسلوبية نحو بديل السني في نقد الأدب) الصادر بطبعته الأولى عام (1977)، وقد جسد هذا الكتاب جوهر منهج الناقد الخاص ونظرته الشمولية لواقع الدراسات الأدبية من خلال محاورته واستفادته من النظريات والمناهج النقدية الحديثة وفي مقدمتها (اللسانيات والأسلوبية والبنوية والسيمائية والشعرية) فأحدى الخصائص المميزة لهذا الكتاب سعيه نحو إقامة (تصور نظري) لحدود هذه المنهجيات الحديثة، ويعني هذا الأمر الخروج من دائرة (التوقع) التي عكفت عليها الدراسات الأدبية والنقدية ولحقة طويلة مما يجعلها حبيسة الأفق النقدي الضيق، إلا أن المرحلة التي طرحت فيها كتابات المسدي هذه الموضوعات عكست تغيير التوجه المنهجي الحديث في الدراسات الأدبية وبدء النهل من صميم موضوعات حديثة تستهدف الخوض والتركيز في (النص) ذاته والابتعاد عن جوانبه الفكرية والتأريخية والاجتماعية لتخوض بعد ذلك العديد من الدراسات في إطار هذا المشروع النقدي وتتخذ من هذه المنهجيات منحاً عاماً لها بعد ما كانت متأخرة نوعاً ما عن سياق المنحى الوضعي السائد في مضمار الدراسات الأدبية والنقدية.

كما كانت للمسدي إسهامات في حقل (المناهج السياقية)، التي برزت في مقدمتها التأريخي والاجتماعي والنفسي، إذ لم يغفل الناقد دور هذه المنهجيات في تحليل الأدب ونقده والتعامل معه والاستفادة من بعض مفاهيمها وتطويرها في سياق إظهار أهمية دراسة النص الأدبي بالاستعانة بمرجعياته الخارجية وعدم الاكتفاء بدراسته بوصفه بنية مغلقة.

نبه المسدي في تمهيده الذي قدّم به لكتابه (الأسلوبية والأسلوب) إلى منهجه المتبع في هذه الدراسة بقوله: (أبني كتابنا على قسمين، قدمنا في أولهما عصارة مخاض فكري نشدنا به الإسهام في اعتراك الثورة اللسانية النقدية مما نرى إفرازاته تغزو بقية المعارف الإنسانية يوماً بعد يوم)⁽¹⁾، أما القسم الثاني من الكتاب فتضمن ملاحق ثلاثة هي :

1- كشف المصطلحات .

2- ثبت الألفاظ الأجنبية.

3- تراجع الاعلام .⁽²⁾

لتحظى قضايا الأسلوب والأسلوبية باهتمام المسدي بالدرجة الأولى مما جعله يوليها عنايته بالدرجة الأساس لتتدرج ثلاثة محاور من الكتاب من أصل ستة في بحث قضية (الأسلوب الأدبي) فيما خاض المحوران الآخران في مفاهيم (الأسلوبية).

وقد انطلق المسدي في مؤلفه هذا من التأكيد على صلة (الأسلوبية) (باللسانيات) فانكب على توضيح الأبعاد الناجمة عن حدود هذه العلاقة وما نجم عن أنصارهما من تأسيس علم معرفي

جديد هو (قواعد علم الأسلوب) حتى أصبح قوام هذه العلاقة المنهل الذي استقى منه النقاد منطلقاتهم في سعيهم نحو الانفكاك والانفلات من (أسار) البحث النقدي التقليدي الذي سار فيه الكثيرون (3) فقد قادت التحولات الايديولوجية لحدود النظرية الأدبية إلى تجسيد افضل صورة لها تمثلت بالاقتران الحاصل بين (علم اللسان) و (مناهج النقد الأدبي الحديث) واستقرارها حول موضوع هو (علم الأسلوب) ومعه بدأت مفاهيم الأدب تزخر به واخذت تتبلور مبادؤه وأسسها وتتأطر شيئاً فشيئاً رغم ما يعترى هذا العلم الجديد من صرامة منهجية وصعوبة والى ذلك يشير المسدي بقوله (فمن حقائق المعرفة ان الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباطاً الناشئ بعلّة نشوئه ، فلقد تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث حتى أخصبه فأرسي معه قواعد علم الأسلوب، وما فتئت الصلة بينهما قائمة آخذاً وعطاء بعضهما في المعالجات وبعضها في التنظير، غير ان كلا العلمين قد قويت دعائمه وتجلت خصائصه فتفرد بمضمون معرفي جعله خليقاً بمجادلة الاخر)(4) .

وتابعت الدراسة التطورات الحاصل على الساحة النقدية عبر تعقب منهج حديث آخر تزامن ظهوره مع الأسلوبية وهو (المنهج البنيوي) حيث عمد المسدي إلى طرح تصورات التي يتسم بها كلا المجالين الحديثي الظهور بعد ان تم استيعابهما وممارستهما لدوريهما كخطابين منفصلين متوافقين مع التحولات الحاصلة في ظل نظرية الأدب الحديثة ، وقد تناول المسدي هذين الثنائيين أي (الأسلوبية والبنيوية) بقوله (أما البنيوية فشأنها مع الأسلوبية شأن آخر لاختلاف الطبائع بين المعارف ولم يلتبس شيء على الناقد العربي في هذه الايام التباس امر البنيوية في روابطها مع مناهج النقد الأدبي الحديث وتياراته الفكرية)(5).

وكان العقد الستيني قد مثل منعطفاً حاسماً في تغيير وضعية (النظرية الأدبية) وكان العامل الحاسم لهذا التغيير هو تأثير (المنهجية البنيوية) على (مجل العلوم الانسانية) فبتأثير (لوفي شتراوس) اتخذت الاستراتيجية البنيوية التي تبلورت في اللسانيات وانتقلت بفضلها إلى الانثولوجيا وتبوأ مكانة مرموقة (6).

ويبدو من سياق كلام الناقد انه يعطي الاولوية والافضلية (للأسلوبية) في تعاملها مع (النص الأدبي) على حساب (البنيوية) بذريعة ان الدراسات الحديثة التي مالت إلى اتخاذ المنهجين (الأسلوبي والبنيوي) موضوعاً لها في دراساتها كان الدافع من وراء ذلك يتجسد في كون الأسلوبية تختلف عن البنيوية في انها تقتفي ضوابط العلوم على غرار (علم النفس والاجتماع والجمال) أي ان توجهها نحو (النص الأدبي) مرتبط بالاحتكام وبالرجوع إلى منطلقات مبدئية تحتكم فيها إلى مضامين معرفية (7) .

في حين ان البنيوية لا تتسم بهذه الخصائص وبذلك يصفها الناقد (بكونها ليست علماً ولا فناً معرفياً بل هي فرضية منهجية قصارى ما تصادر عليه ان هوية الظواهر تتحدد بعلاقة المكونات وشبكة الروابط اكثر مما تتحدد بماهيات الاشياء⁽⁸⁾).

وهيمنت موضوعة (الأسلوبية والبلاغة) على الخطاب النقدي لدى المسدي ومما لا شك فيه ان توظيف هذا الامر من شأنه ان يقدم تفسيراً عما كان يعتدل نمط نشوء الأسلوبية التي لم تتبثق فجأة وانما كانت لها علاقات وطيدة ومتينة مع علم قديم هو (علم البلاغة) الذي اشر بداية انحسار مرحلة نقدية سابقة وحمل بين طياته ارهاصاً ببدء العهد ببروز (علم جديد) ميز الساحة الأدبية واصبح اتجاهاً افاد من الامكانات السابقة لغيره من العلوم حيث توفر المناخ الملائم لتحديد ملامحه وخلفياته التي يكاد يشترك فيها مع البلاغة بخصائص معينة وهذا يعني ان كلا العلمين كانا (مقترنين) بعضهما ببعض في حقبة زمنية ما الا ان ملامح صورهما بدأت تتضح خاصة لينفرد كل منهما بميدان معرفي مستقل عن الاخر والى هذا يشير المسدي بقوله (اما اغرب الروابط واعجبها فهي تلك التي تقوم على ايدي بعضهم بين الأسلوبية والبلاغة ولا سيما في مجال الممارسة الشارحة.. ان الأسلوبية ما لم تتبكر متصوراتها النظرية ومقولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفاً وحجماً من تقسيمات البلاغة وصورها فانها تنتفض من حيث تريد أن تكون بديلاً في عصر البدائل...)⁽⁹⁾.

وضمن هذه المنطلقات المنهجية يتناول المسدي ابراز الفروق بين (فقه اللغة وعلم اللسانيات) حيث وضع تحديداً يسم كلا المجالين (فقد نشأت اللسانيات على انقاض فقه اللغة فقامت بديلاً منه تقره بالكسب ثم تنفضه من حيث تتجاوز به بقفزة معرفية هي بالضرورة قطيعة في مصادرات منهج العلم⁽¹⁰⁾)، مبرهنناً على سير كلا المجالين باتجاهين متباينين مؤكداً ان مادة العلمين واحدة هي (الظاهرة اللغوية) بينما يتمتع كلا العلمين (بمنهج مختلف) بل متقابل وترتب على اثر ذلك (تباين المواضيع وتخالف التصنيفات) واصبحنا بازاء ذلك امام تحديد استقلالية العلمين ليكتسب كل منهما أسسه المعرفية ومواضعاته المنهجية⁽¹¹⁾.

وفي نبذة تاريخية عن (فقه اللغة) نرى انه شهد ازدهاراً في اواسط القرن العشرين⁽¹²⁾ ونجد الكثير من الخلط بينه وبين (الاسنية) أو (علم اللغة الحديث) وربما يعود الامر إلى ان كلمة (فقه اللغة) كانت إلى زمن قريب جداً الكلمة الاساسية التي تشير إلى مجموعة الدراسات اللغوية وعدم التمييز بين (الاسنية وفقه اللغة) رافقه حدوث تغيير جذري بحيث ان كلمة (الاسنية) أصبحت بشكل عام هي الكلمة المستعملة للدلالة على الدراسات التي تتناول من قريب

أو من بعيد (قضايا اللغة) فضلاً عن ذلك فأن كل من تناول بالبحث (اللغة) وان بصورة سطحية بات يطلق على نفسه تسمية (الاسني)⁽¹³⁾ .

وبعد هذا المدخل النظري الذي طرح فيه الناقد تأسيساً لمشروعية علاقة الأسلوبية بغيرها من العلوم المجاورة وانفتاحها على أكثر من حقل معرفي واحد يؤشر لنا مولد التيار الأسلوبي في النقد الأدبي على يد (شارل بالي) نقطة بدء الأسلوبية في الفكر الغربي الحديث، وخضوع هذه الولادة أصلاً إلى نسق (الفكر السوسيري) وترسيخه لمفاهيم (اللسانيات الحديثة) وجعلها واقعاً بارزاً في خارطة الدراسات الأدبية وعلى مدى المراحل التاريخية التي قطعتها الأسلوبية مروراً بـ (سبيتزر وماروزو وياكسون ووصولاً إلى تودوروف وانتهاء باولمان وريفاتير)⁽¹⁴⁾ ، لتتلاحق النظريات والمداخل من جرّاء هذا التمازج الهائل الذي عرفه تاريخ اللسانيات/الأسلوبية/البنوية/البلاغة وليكون ابرز من يجليها نظرياً بعد تصاعد موجة هذه الافكار (الشعرية) التي يستعير لها الناقد مصطلحاً آخر هو (البويطيقا الجديدة) أو (الانشائية) أو (علم العلامات) أو (السيمائية)⁽¹⁵⁾ . وفي قلب هذه التصورات عكست (اللسانيات الحديثة) تحولات بالغة الأهمية ورسمت الآلية التي كشفت عن العديد من المغامرات النقدية النابعة من صميم الاشكال اللسانية. ومن البديهي ان تنبثق الشعرية من صميم اللسانيات لاهتمام الشعرية أصلاً بقضايا البنية اللسانية وبما ان اللسانيات هي العلم الشامل للبنى اللسانية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات⁽¹⁶⁾ .

ويتجلى الارتباط النقدي بين (اللسانيات) و(الأسلوبية) بحسب (اريفاي) (بان الأسلوبية وصف للنص الأدبي بحسب طرائق مستقاة من اللسانيات)⁽¹⁷⁾ .
وطبقاً لريفاتير (ان الأسلوبية تعرف بأنها منهج لساني)⁽¹⁸⁾ .

ولعل من ابرز الاسباب واهمها من التي التقى فيها ميدان الدراستين (الاسنية) و(الأسلوبية) في حقل الدراسات الأدبية هي (اللغة) التي سيطرت على مجالي الدراستين واستمرار تأثيرها الفاعل في الحقلين وخضوعهما تماماً له⁽¹⁹⁾ . وقد حظي المظهر اللفظي من الأدب باهتمام عدة اتجاهات نقدية حديثة فدرس (الأسلوب) في نطاق (الأسلوبية) طبقاً لتودوروف⁽²⁰⁾ .
كما ان خطاب الأسلوبية في الأدب لا يكتمل ما لم يتم ولوج موضوعها الاساسي والرئيس وهو (الأسلوب) ليرز المسدي في كتابه (نظرية تحديد الأسلوب) وتقوم على وفق منظوره على ثلاث دعائم هي (المخاطب والمخاطب والخطاب) وقد انتهى المسدي إلى اعتبار كل عملية تخاطب بحسب هذه النظرية بحاجة إلى جهاز ادنى يتكون من (باث ومتقبل وناقل)

كما لم تفته الاشارة بخصوص علاقة هذه النظرية مع أنمودج (ياكيسون) وهو ما آل اليه الفكر اللساني الحديث (21).

والنقت تعريفات (بيفون) (فلوبير) (ريفاتير) (ستاندال) في تحديد ما هية الأسلوب، هذه الابعاد التعريفية التي سوف تضاف إلى وجهات النظر المختلفة بصدد نشوء مفهوم الأسلوب، وهو ما أدى بالمنظرين إلى التأكيد على اصالة هذا المفهوم وممارسته لدوره في سياق العمل الأدبي (22).

وشاع تأويل عبارة بيفون المشهورة (الأسلوب هو الرجل نفسه) لتسير في هذا الاتجاه ويعتبره ليوسبيتزر (انحرافاً فردياً بالقياس إلى قاعدة ما) (23)، وتعريف الأسلوب باعتباره انزياحاً ليس ان نقول ما هو فالأسلوب هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ومطابقاً للمعيار العام المألوف ويبقى مع ذلك ان الأسلوب كما مورس في الأدب يحمل قيمة جمالية انه انزياح بالنسبة إلى معيار أي انه خطأ ولكنه كما يقول (برونو) (خطأ مقصود) وعد الأسلوب في اغلب الاحيان انزياحاً فردياً أي طريقة في الكتابة خاصة بواحد من الأدباء وكان (بالي) نفسه يدعو (انحراف اللهجة الفردية) (24).

وكانت للناقد التفاتة أخرى سبق ان نوه اليها في موضع سابق عندما اتجه إلى رصد ابرز الفروقات الجوهرية والمحورية بين ميداني البلاغة والأسلوبية وقدم لنا من خلاله ابرز الحقائق الاساسية المتعلقة بهذين المجالين المهمين والذي يمكن عده بمنزلة الحلقة الرابطة التي وصلت بين تقليدين والكيفية التي تميز بها (حقل معرفي قديم هو البلاغة) لينتقل انمودجها إلى (الأسلوبية) التي استهلكت البحث النقدي الحديث وتبناها العصر الحديث برفض النزعة التقليدية التي غلبت إلى استلهاً المفاهيم البلاغية القديمة ، ويوضح الناقد امر هذه العلاقة على النحو الآتي: (أن من ابرز المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي ان البلاغة علم معياري يرسل الاحكام التقييمية ويرمي إلى تعليم مادته وموضوعه : بلاغة البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين ولا تسعى إلى غاية تعليمية البتة ، فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة بينما تتحدد الأسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية والبلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاها التقييمية بينما تسعى الأسلوبية إلى تحليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها (25) .

فالحصيلة الابستمية في مقارنة (البلاغة بالأسلوبية) تتلخص في أن منحى البلاغة متعال بينما تتجه الأسلوبية إتجاهاً اختيارياً ، معنى ذلك أن المحرك للتفكير البلاغي قديماً يتسم بتصور (ماهي) بموجبه تسبق ماهيات الأشياء وجودها، بينما يتسم التفكير الأسلوبي بالتصور

الوجودي الذي بمقتضاه لا تتحدد للأشياء ماهياتها إلا من خلال وجودها ، لذلك أعتبرت الأسلوبية أن الأثر الفني معبر عن تجربة معيشة فردياً (26) .

لقد أحدثت فكرة الناقد عن التمييز بين (الأسلوبية) و (اللسانيات) من جانب و (الأسلوبية والبلاغة) من جانب آخر أثراً مباشراً أدرك من خلاله أن (للأسلوبية واللسانيات) الحق في أن يتواجد أما (الأسلوبية والبلاغة) كمتصورين فكريين فتمثلان شحنتين متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما تواجد أي في تفكير ابستمي موحد (27) .

ولا شك ما لهذه النظرة من أثر في تغيير الفهم الناشئ عن انبثاق كلا المجالين وهو ما أتاح للدارسين فيما بعد من تفسير الوجهة التي اتخذتها (الأسلوبية) و (البلاغة) على نحو غدت معه الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر على حد تعبير المسدي ومعنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلاً عن البلاغة (28) .

ويقتضي البحث في مشروعية وجود الأسلوبية الرجوع بها إلى اطرها الاولى والاساسية التي انبثقت عنها بغية الكشف عن هذه الاطر وتقصيها ، فلقد نشأت الأسلوبية على انقاض العصر البلاغي المترهل (29) فالبلاغة التي سادت الغرب ابتداء من (القرن الخامس قبل الميلاد) وحتى (القرن التاسع عشر الميلادي)، ادت إلى خلق ما يسميه (بارت) بالاطلاء الحضاري الغربي حيث كانت البلاغة الممارسة الاولى يليها النحو (30) الا ان (القرن الثامن عشر) كان يحمل رياح التغيير بين دفتيه تلك التغيرات التي كانت إيذاناً بالبداية بتراجع سطوة البلاغة واختفائها واندثار معالمها شيئاً فشيئاً ، واشرت (الرومانتيكية) جانباً من جوانب تلك التغيرات مع الإشارة في الوقت نفسه إلى أن معالم هذه التغيرات لم تكن حديثة العهد فقد ارتبطت بثورة تعود اصولها إلى حقبة طويلة الامد (31) وهذا يعني ان وضع (البلاغة المعيارية) قد تغير كثيراً مع مجيء (الرومانطيقية) في (القرن الثامن عشر) المركزة على جمالية العبقرية والابداع الذاتي الحر، فقدت البلاغة تأثيرها على الشعرية والأدب ، وادت الرومانطيقية إلى تدمير اطر البلاغة الكلاسيكية بقواعد المعيارية بكونها وسيلة لـ(انتاج النصوص حسب قواعد فن معين) (32) .

ومع ذلك ورثت البلاغة الجديدة ولا سيما (بلاغة القرن التاسع عشر) عن البلاغة الكلاسيكية الاختزال الذي ما فتئت تقدمه باستمرار في اختزال البلاغة العامة إلى بلاغة للأدبي فحسب ، ولهذا فضلت البلاغة الرومانطيقية النص الأدبي وخصوصاً الشعري على الخطابي والاقناعي بقول جينيت (فالبلاغة تنزع إلى أن تصير في الاساس دراسة للحكم الشعري بالقوة (33) .

واذا كان قد قيل (بان البلاغة هي علم أسلوب الاقدمين) فمن الملاحظ ان حظها من العلم كان يوازي - بل يفوق في بعض الاحيان - تصورات العلوم الاخرى فكثير من تحليلات التراث البلاغي المتصلة بمضمون التعبير تضاهي المنطقة التي يغطيها (علم اللغة الحديث) من قضايا تتصل باللغة والفكر والفصاحة وبأشكال القول وتكوينه مما يشمل جوانبه الثلاثة (الصوتية والمعجمية والنحوية)⁽³⁴⁾، لتفقد البلاغة مع التطورات المنهجية في القرن العشرين اهميتها في تحليل ومعالجة الأدب فبدأت المنهجية اللسانية الجديدة مثلاً بتوليد علوم فرعية جديدة تدور في فلكها وقد قطعت صلتها بالانموذج العلمي السابق وهكذا كانت الأسلوبية العلم الجديد الذي ورث عن البلاغة موقعها فكانت له مطلق الشرعية في فحص الأسلوب والقيمة التعبيرية للغة والنصوص وتعريفهما⁽³⁵⁾.

وبغض النظر عن اسباب تدهور البلاغة تاريخياً حتى فقدت اهميتها ولم تصبح لها اية قيمة باعتبارها مجموعة من التصورات والمفاهيم التقنية المعيارية فلم تعد لها فاعلية القواعد التي كانت تفرض بها وجودها فانها ذابت وانحلت في (علم الأسلوب الحديث) بشكل أو بآخر فأسلوبية التعبير التي دعا اليها (بالي) تنبع من (البلاغة القديمة) وان كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة، كما ان كثيراً من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور والاشكال باتت مصدراً مهما للباحث الأسلوبي الحديث ليعمقها في ضوء المناهج الحديثة⁽³⁶⁾.

لقد توجت نتائج هذه الدراسات والعلاقات القائمة بين الأسلوبية والبلاغة من جانب وبين الأسلوب والبلاغة من جانب اخر بتحديد معالم وملامح (علم الأسلوب) أو (الأسلوبية) واكتسبت هذه الصلات اهميتها من كونها نابعة من صميم الدراسات الأدبية التي شكلت الدعائم الموضوعية لقيام (الأسلوبية) على ما فيها من نقاط تقاطع والتقاء في بعض الاحايين وهي ظواهر طالما اعتادت الدراسات النقدية على تقديمها وابرازها عند الحديث عن الأسلوبية.

لنتنبق (الأسلوبية) بوصفها فرعاً من فروع (اللسانيات) وتفرض ستراتييجيتها النظرية منها والتطبيقية على حقول الدراسات الأدبية وجسدت دراسات الفرنسي (شارل بالي) أولى الدراسات الأسلوبية الحديثة التي اضطلعت بتقديم الكثير من المفاهيم الاساسية سعياً منها نحو إثراء الدراسة النقدية⁽³⁷⁾.

ويذهب الأسلوبيون الفرنسيون إلى ما ذهب اليه (بالي) من محاولة صياغة مناهج نقدية جديدة وذلك (أبان الاربعينيات والخمسينيات) من القرن الحالي مستعينين في ذلك بالافكار الأساسية التي طورها (فرديناند دي سوسير) وما انطوت عليه من نقلة نوعية وهي تحاول

دحض المفاهيم السابقة للأثر الأدبي ومن منظور اكسبها افاقاً ورؤى حديثة في دراسة الابعاد الكامنة في منظور النقد الحديث في ضوء توجهاته الحالية (38).

وكانت الدراسات الأسلوبية الاولى قد ترسخت دعائمها في العام (1886) على يد العالم الفرنسي (جوستاف كويرتنج) عندما اشار في ذلك الحين إلى (ان علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماماً حتى ذلك الوقت وفي دعوته إلى ابحاث تحاول تتبع اصالة التغييرات الأسلوبية بعيداً عن المناهج التقليدية).

وإذا كان (القرن التاسع عشر) يمثل إيداناً ببداية ظهور (الأسلوبية)، إلا أنها بلغت ذروتها في (القرن العشرين) وكان هذا التحديد مرتبطاً بشكل وثيق بأطروحات علم اللغة بوصفها مؤشراً على بداية تراجع غيرها من الدراسات الأدبية الاخرى (39).

وابتداء من هذا التاريخ بدأ الاهتمام بالدراسات الأسلوبية يتزايد شيئاً فشيئاً مهتدياً بالمعطيات العلمية الأسنسية ومتقاطعاً مع حدود علمية اخرى (كالبلاغة وفقه اللغة والنقد الأدبي وعلم العلامات .. حيث ظهرت بعد بالي - طائفة من الأسلوبيين الذين اشتقوا لأنفسهم طرقاً واتجاهات ضمن هذا العلم الجديد راكمت البحث الأسلوبي واثرت برؤى معرفية ومنهجية جديدة ورسمته علماً متعدد الاتجاهات فإذا نحن أمام اتجاهات أسلوبية متميزة يختلف رصدها وحصرها من باحث إلى اخر (40)، وقد اعتمد النقد الحديث على (الحقل اللغوي) الذي حدده (بالي) أي الحقل الذي يحتضن وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والادارية والجمالية والتقنية والاجتماعية وإذا كان (بالي) قد حصر (الأسلوبية) في اللغة المحكية وفي النص الابداعي فان أتباعه الفو (اللغة المحكية) وحددوا دراسة الأسلوب في كينونة (الحدث الأدبي) الذي يدور في اطار مواصفات ثلاثة ، الدلالة والتعبير والتأثير (41). واذعاناً لهذا الامر ادركت الأسلوبية ان وسيلتها في تحقيق التقدم والتوغل في صميم العملية النقدية ما كان ليتم لولا اعتمادها على (علم اللغة) هذا الاختزان الذي ترك اثره العميق في ضوء تطورات لاحقة .

وقد مثل (علم اللغة) انقلاباً جذرياً في واقع الدراسات الأدبية ومن المهم التأكيد ان هذه التحولات كانت نابعة من صميم الدراسات الأدبية نفسها وليس عن (علم اللغة) بحد ذاته (42) . وقد مثل (النقد الانطباعي) احد المحركات الاساسية الدافعة والكامنة وراء احداث هذه التغييرات وذلك حين انسحب وتراجع في بدايات القرن الحالي معطياً الاولوية لغيره من المدارس النقدية الحديثة التي تركز منظورها على دعم فكرة (النص الأدبي) نفسه بدلاً من هيمنة عناصر أخرى طارئة عليه مثل شخصية الكاتب (43) ويوجز الشاعر الناقد الانجليزي (ت . س . اليوت) موقف هذه المدرسة بقوله (ان الشاعر لا يملك (شخصية) يعبر عنها ولكنه يمتلك واسطة معينة (يقصد

اللغة) انما هي واسطة وليست شخصية، واسطة فيها تتضام الانطباعات والتجارب بطرق متميزة وغير متوقعة ولعل الانطباعات والتجارب التي تهم الانسان الا تجد لها مكاناً في الشعر وتلك التي تشغل مكاناً مهماً في الشعر الا يكون لها الا نصيب ضئيل في الإنسان أو الشخصية⁽⁴⁴⁾.

وإذا كانت هذه المدرسة النقدية قد تطرفت في دعواها، وبينت أن الظاهرة الأدبية ليست الا ظاهرة واحدة من جملة ظواهر انسانية منها ما يتصل بالحياة الروحية للإنسان ومنها ما يتصل بحياته المادية، وان هذه الظواهر كلها تتربط فيما بينهما بدرجات متفاوتة من القوة، وإذا كانت هذه الدعاوى المتطرفة قد ظهرت هنا وهناك في كتابات بعض أنصار النقد الجديد فإن ذلك لا يقدح في حقيقة ان هذه المدرسة استطاعت أن تنقل الدراسة الأدبية من العناية بأشخاص الأدباء إلى العناية بالأدب نفسه وكان لذلك آثار عظيمة باقية في المنهج وكان لبعض أقطابها اجتهادات طيبة في تحليل اللغة الفنية كالذهب ذهب إليه كلينث بروكس من أنها مبنية على المفارقة وهو رأى وجد فيها بعد تأييداً قوياً من ابحاث علم الأسلوب⁽⁴⁵⁾.

ومما كتبه (ميكائيل ريفاتير) في هذا الصدد خاصة قوله (عمل المذهب الانطباعي الذاتي والبلاغة المعيارية وكذا التقويم الجمالي في المقام الاول عملوا طويلاً على معاكسة تطور الأسلوبية بوصفها علماً للاساليب الأدبية وبحكم القرابة بين (اللغة والأسلوب) فإن من المؤمل استخدام المناهج اللسانية في الوصف الدقيق والموضوعي لمسألة الاستعمال الأدبي للغة⁽⁴⁶⁾.

وفرضت التطورات التي طرأت على (علم اللغة) تزايد الاهتمام بالكشف عن المسار الذي سوف يقتفيه واقع الدراسات اللغوية والأدبية وما يعكسونه من علاقات متينة ومترابطة ويمكن القول ان (علم اللغة الحديث) الذي نشأ في اوائل القرن التاسع عشر مثل رفضاً لسيادة وهيمنة المنهج التاريخي على واقع الدراسات الانسانية ليحاول ازاحتها ويتبوأ لنفسه مكاناً سوغتها له ما يتميز به من دقة وموضوعية⁽⁴⁷⁾.

وكيفما كان الحال فان انتقال (الأسلوبية) الى (الخطاب النقدي العربي) قد تأخر إلى سنوات (السبعينيات) من القرن الماضي اذا قفزنا على اعمال متقدمة نسبياً لكنها لا تعدو ان تكون بلاغة متجددة كأعمال امين الخولي والزيات واحمد الشايب بفعل جهود مشتركة اسهم فيها كل من عبد السلام المسدي وشكري عياد وصلاح فضل⁽⁴⁸⁾، ان صورة (علم الأسلوب) في أواخر السبعينيات لا تزال كما وصفها (المان) سنة 1964 صورة علم شاب مليء بالنشاط والحيوية لم يكتمل ولم ينظم بصورة وافية حتى الان كثير من التجارب والافكار في حالة اختمار وفي الوقت نفسه لا نجد اصطلاحات متعارفة ولا اتفاقاً عاماً على الاهداف والمناهج⁽⁴⁹⁾.

اما أعمال المسدي اللاحقة فتتمثل بصور كتابه (في آليات النقد الأدبي 1994) ويبدو الاقرب إلى كتابه (الأسلوب والأسلوبية) من حيث التركيز على وجود علاقات بين (النقد الأسلوبي) وما يجاوره من علوم اصطلاح عليها الناقد بـ(المعارف المحايشة) المتمثلة طبقاً لوجهة نظره بـ(اللسانيات ، فقه اللغة والبلاغة والبنوية) فهذه المرتكزات الأربعة مارست دورها الفاعل في سياق فهم العمليات المتصلة (بالأسلوبية) وهيمنت على مستويات الفهم النقدي لدى (المسدي) واحتلت مكانة متميزة في أعماله توطدت آثارها في كتابين مهمين له مما جعل الناقد يطرحها طرحاً نقدياً عميقاً موضحاً أبعاد هذه العلاقات بعضها ببعض في الوقت الذي يقيم فيه تقيماً جذرياً وأساسياً لتطور الأسلوبية في ضوء هذه المعطيات المتجاورة.

ويبدأ موضوعه بتقصي الأثر الذي خلفته اللسانيات في كيان النقد الأدبي ودراسة الأبعاد الكامنة من جرّاء الارتباط بين (اللسانيات والنقد الأدبي)، ويذهب المسدي في هذا الكتاب إلى ما ذهب إليه في كتابه (الأسلوب والأسلوبية) من أن استجلاء حقيقة (الأسلوبية) في أبعادها وفي حدودها لا يتم دون الرجوع إلى العلاقة القائمة بينها وبين (اللسانيات)، فالعلمان يوجد بينهما ارتباط تكويني بالضرورة ويعود في جذوره وأصوله إلى (نشأة المعرفة اللغوية الحديثة) في مستهل القرن العشرين لكي يتسع هذا المفهوم فيما بعد ويستوعب ويوجد مجالاً جديداً منفصلاً عنهما وهو ما تمخض عنه من تأسيس (علم أسلوب الخطاب اللغوي بعامة)⁽⁵⁰⁾.

والقاعدة الأساسية التي ينبغي تشكيلها وفق هذا المنظور تتمثل بـ(بمعادلة الارتباط) التي تنص على أن (الأسلوبية هي حقل الاستثمار الذي يتناول فيه النص الأدبي في ضوء ما تقرره اللسانيات من كشف حول بنية الجهاز اللغوي بعامة)⁽⁵¹⁾.

واستجابة لهذا المطلب فإن على الأسلوبي - ولاسيما الممارس للمقاربة التطبيقية أن يتخذ زاداً من اللسانيات العامة والنوعية حتى يتسنى له الاجراء النقدي المتمخض للمنظور الأسلوبي⁽⁵²⁾.

وكانت للمسدي محاورة من نوع خاص مع المناهج السياقية التي افراد لها مساحة شاسعة من كتابه وجاءت هذه المحاور منسجمة مع الاتجاهات النقدية ذات النزوع الانساني ويضع هذه العلوم ضمن شبكة العلاقات النقدية الأساسية التي يقيّمها النقد الأدبي مع ما يجاوره من علوم وبخاصة الانسانية منها باعتبارها مكوناً أساسياً من مكونات المناهج النقدية فضلاً عن كونها ذات جذور موعلة في القدم عرفها النقد الأدبي الحديث في بادئ الأمر وشكلت في مراحلها الأولى ملامحه المميزة والتقت في العديد من نتائجها ومفاهيمها ومنها تفسير النص الأدبي وشرحه في ضوء هذه السياقات الخارجية إذ تشير الدلائل إلى أن التحولات التي طرأت

على بنية العمل الأدبي مما دفعه إلى البروز وتقديم صورة شاملة كلية لنظريات النقد الحديث اللاحقة ما كانت لتتم لولا التنظيرات المهمة التي افرزتها العلوم الإنسانية وكان ذلك تحديداً بفضل ثورتها المنهجية التي واكبت النهضة العلمية في حقل العلوم الإنسانية قاطبة (53).

وكان رائد البحوث الانثروبولوجية (ليني شتراوس) من ابرز الأصوات الداعية إلى استحضار مفاهيم العلوم الإنسانية برمتها وتوطيد الصلة بين العلوم التاريخية والعلوم اللغوية) وقادت هذه الدعوة بالضرورة إلى اصفاء أولوية وأهمية للدور التي ستمارسه العلوم الانسانية في ميدان النقد الأدبي الحديث (54) ، حيث يقول المسدي في هذا الشأن (وبناء على هذه المسألة أضحي ملحاً علينا ان نقبل النظر في شبكة العلاقات القائمة بين النقد الأدبي وابرز العلوم الانسانية) (55).

ليراجع المسدي ابرز مسارات تلك العلوم الانسانية من علم (التاريخ، النفس، الاجتماع) ويوضح العلاقات المتبادلة والمتينة التي أقامتها هذه العلوم مع النقد الأدبي وتوضيح مدى إفادة النقد من الامكانيات التي وفرتها هذه العلوم للمساعدة على تعزيز وجهة نظرها بصدد موضوعها.

فع (علم التاريخ) يرى المسدي أنه كانت لعلم التاريخ مضارب قوية في حقل النقد الأدبي حتى لكأنه تخطى بها مواقع الفلسفة ثم استبد بأعناق الأدب فخيّل للناس انه لا مدخل إلى فهم الأدب الا من بابه (56) ويستمر بتتبع الاثر الذي خلفه (علم النفس) في صميم النقد الأدبي بقوله (ومن طرائف ما يحصل على تخوم التظافر المعرفي الذي نؤمه في سياقنا هذا دون سواء أن الأدب والجمال واللغة والفن) يلتقي جميعها على لوحة التشريح في مختبر النفس التحليلي وذلك في زاوية من زوايا كل عيادة نفسية (57).

وحاول دراسة الأبعاد الاجتماعية الناجمة عن تقييم الأدب وفقاً لسياقات ارتباطاته الاجتماعية من منظور يحتكم ويرتكز أساساً على اعتبار ان الأدب من وجهة نظر ما لا مهرب له من ان يؤدي في مضمونه واحياناً في شكله شهادة ما عن الواقع وقد تكون حقيقة جماعية باعتبار ان الأدب مرآة من مرايا المجتمع وان الاديب لا يكتب أدباً الا وهو يقصد اشراك من حوله فيه لينبري (علم الاجتماع) عندئذ مدعياً الحق الأوفى في استنطاق الأدب وعارضاً سخاءه على النقد يعينه على أستكناه الحقيقة الاجتماعية (58).

وقد تتسع مفاهيم العلوم الانسانية لدى الناقد لتستوعب روافد فكرية اخرى تم ادراجها تحت مظلة هذه العلوم وهي الدلالة والفلسفة والايديولوجيا وعلم الجمال ونظرية الفن إذ كانت لهذه المفاهيم انعكاساتها على الوعي النقدي الجديد لدى ناقدنا، فقد نظر إلى الدلالة على انها

(المنفذ الواسع إلى الأدب إذ لا ولوج إليه الا من بابها، غير ان هذه الوظيفة التي تبدو جوهر النقد الأدبي هي في حقيقة أمرها موطئ قدم الكثير من العلوم الاخرى)⁽⁵⁹⁾ واولى المعارف بقضية الدلالة وأكثرها في نظر أهلها تهيوأ لاستيعابها هي الفلسفة فكل قضيتها إمطة النقاب عن الاشياء والواقع والظواهر⁽⁶⁰⁾.

فمن المعلوم لدينا ان النقد منذ اقدم عصوره عند اليونان كانت له ارتباطاته مع الفلسفة حتى صار فرعاً من فروعها ، وقد ازداد هذا الارتباط وضوحاً في عصور النقد الحديثة وبخاصة في عصرنا إذ أصبح النقد مرتبطاً كل الارتباط بعلوم الجمال التي هي من فروع الفلسفة⁽⁶¹⁾. وعلى ما يوجد من فارق مهم بين الفلسفة التي اخص خصائصها التجريد - وبين الأدب الذي جوهره التصوير الجمالي في المعنى الاشمل الاعم له ، ثم النقد الذي موضوعه الأدب فيما له من خصائص تظل الصلة مع ذلك وثيقة بين الأدب ونقده وبين الفلسفة وكانت هذه الصلة وثيقة في القديم منذ ارسطو وافلاطون واشتدت او اصرها في القرن العشرين⁽⁶²⁾.

ويمزج الناقد بين (نظرية الفن وعلم الجمال) ويدعم موقفهما بانضمامهما إلى (علم النفس) نظراً لما ينطوي عليه (علم الجمال) أصلاً من احداث التأثير بما في ذلك التأثير المنشود في الأدب والحاصل به طالما ان القول الأدبي هو ضرب من الفن ، ليستعين هذا العلمان بافكار علم النفس المعولة على البحث في التأثير الذي تخلقه في النفوس وهذا مجال عمل البحوث النفسية⁽⁶³⁾.

ولا يخفى ان الناقد كان ملتزماً في أغلب دراساته بمناهج الالسانية والأسلوبية وغيرها مما جعله يضع جل اهتماماته بها في حين انحسرت كتاباته على نحو عام من الخوض في غيرها من الموضوعات وتحديداً ما يعرف بالمناهج الخارجية أو السياقية التي تكاد تكون قليلة إلى حد ما الا ان هذا لا يعني انه لم تكن للناقد اسهامات نوعية في مجال البحوث الانسانية بعامة .

وللمسدي إسهام من نوع آخر تجلى في أطروحات (علم النص) التي لم تكن غائبة عن ذهنه نظراً لما ينطوي عليه هذا المشهد من دلالة تعكس التحولات البالغة الالهمية في نظريات النقد الحديث باسهاماته وانفتاحه على الافاق المعاصرة، وسرعان ما تحولت إلى ظاهرة لافتة للنظر جذبت اليها اقطاب العديد من الدراسات الحديثة . وقد ارتبط الحديث عن (النص) لدى المسدي باتجاهين اثنين هما: تركيز اهتمام الأول على مبدأ ان (النص) مرتبط بصاحبه (أو مبدعه) قبل أي شيء آخر، مما أفضى إلى قصر طبيعة الخطاب الأدبي والنقدي على واضعه⁽⁶⁴⁾.

وحول الاصول النظرية الاولى لهذه الرؤية يجد (المسدي) انها ظهرت لأول مرة في (القرن الثامن عشر) وتجسدت بشكل خاص في كتابات الاديب الفرنسي (بيفون) وذلك في كتابه (مقالات في الأسلوب) ، واكد (المسدي) تبني هذا المنظور من اديب فرنسي اخر هو (مارسال بروسست) في كتابه (في البحث عن الزمن الضائع)⁽⁶⁵⁾.

ويرى (المسدي) انه ومنذ نشوء هذا التيار النقدي في القرن الثامن عشر اتخذ البحث الأدبي طابعاً يتمثل في ربط خصائص الأدب بطبائع الأدباء ومما جعل البحث فيه موعلاً في الأعماق ومتوطداً التقدم الهائل الذي حققته الدراسات والنظريات النفسية ولاسيما مدرسة التحليل النفسي كما سوى معالمها سيكموند فرويد⁽⁶⁶⁾ ، الذي عرف الحضارة الإنسانية بأنها حصيلة كبت يسلطه المجتمع على الفرد فيروض بموجب ذلك نوازعه الفطرية، وقد استغل كثيراً من الظواهر الفطرية لتفسير السلوك البشري في ضوءها.⁽⁶⁷⁾

والتيار النقدي الذي انبثق عن هذه المدرسة انطلق من اعتبار العملية الفنية في الأدب بمنزلة الاستجابة لمنبهات نفسية تتمخض عنها حاجة ما، أو اقل بمثابة متنفس يفرج فيه الاديب عن ميول أو نوازع مكبوتة⁽⁶⁸⁾.

وعلى هذا النحو عد (النص الأدبي) وثيقة نفسية تقوم مقام لوحة الاستكشاف في عيادة التحليل النفسي - تلك التي تسمى بمصطلحات المختصين لوحة الاسقاط وهو ما يجعل العمل النقدي بحسب هذه النظرية في احد اتجاهين : اما ان ينطلق من الأثر الأدبي إلى الأديب أو ان ينطلق من معلومات تاريخية حول الأديب ليفك بها أسرار النص نفسانياً⁽⁶⁹⁾.

وفي حدود هذا الإطار الذي وسم هذا الاتجاه بدأت تحولات جذرية أحدثتها عوامل متعددة بالحدوث ليغادر الأدباء ثوابت هذا الاتجاه وما تفرع عنه من نظريات نفسية وربط المسدي هذا الأمر بالتشبع الذي حصل في مجال تقييد الأدب بصاحبه مما أفضى إلى الابتعاد عنه وما رافق ذلك كله نقدياً من ظهور (المعارف اللغوية الحديثة) واهم آثارها ومظاهرها المتمثلة بـ(علم السان) فالتشبع الذي حصل طبقاً للمسدي هو الذي دفع النقد في مراحل متعاقبة إلى ان يحول وجهة نظره عن صاحب النص تدريجياً⁽⁷⁰⁾.

(الاتجاه الثاني) ويمكن إدراجه تحت مفهوم (مصطلح النص) وفيه تجرد الخطاب النقدي عما حوله تماماً وأصبح الركون فيه ينحو إلى الاهتمام والتركيز على (النص) بحد ذاته إلى حد الاستقصاء على حد تعبير المسدي وكان الدافع من وراء ذلك المحركات التي أحدثها علم اللسان وتعريفه اللغة (بكونها ظاهرة اجتماعية تؤدي وظيفتها التواصلية بفضل نظامها المخصوص

فهي كل يقوم على بنى مترابطة العناصر هوية كل عنصر وقف على هوية بقية العناصر بحيث لا تتحدد وظيفة أي واحد منها إلا بعلاقته بالعناصر الأخرى (71).

ونتيجة لهذا عمدت معظم نظريات النقد الحديث . ابتداء من أسلوبية شارل بالي وشعرية رومان ياكسون ومن رمزية تودورف وبنوية ريفاتير وعلامية بارت إلى سيميائية جوليا كرسيفا إلى بلورة نزعتها الخاصة وذلك بميلها نحو النص وتكريس مفاهيمها للخوض في حدود هذا الإطار (72).

ويمضي (المسدي) قدماً في تعميق أطروحاته المتعلقة (بالنص) ليتبنى اتجاهًا قائمًا على أساس فرضية أن النص ينسب قبل كل شيء إلى صاحبه وأن الذي ينسب إلى صاحبه هو صاحبه نفسه قبل أي كان، ولكن هذا لا يدخل في مجال العملية النقدية باعتراف المسدي نفسه (73).

وقاد التوجه المنهجي العام الذي نحتة (المدارس والتيارات النقدية الحديثة) إلى إيلاء أهمية خاصة (للقارئ) فهو القادر وفق تصورات المنهجيات الحديثة أن يكون حكماً فأصلاً في شأن أدبية النص (74).

وتبدو مسيرة البحث والخوض عن (انتماءات النص الأدبي) وضبط حدود هذه العلاقة سواء من حيث ارتباطها بصاحبه أو بقارئه من الأمور التي صاحبت مسيرة النقد الحديث ولا سيما في المراحل التي تدفقت فيها إسهامات البحث اللغوي في العملية النقدية والتي اتضحت بصورة جلية مع أعمال (عالم اللغة الروسي) فيو غرادوف (75).

ولو شئنا الخوض في تفحص مسألة بدء الاهتمام (بالنص الأدبي) بحد ذاته نجد أنه يعود لآراء ونظريات (كولردج) فهي التي مهدت لظهور (النظريات الحديثة في النص) إذ يعد أول من قال وأشار إلى أن جنس النص لا يتوقف على الكلمات والعناصر الأدبية وإنما على العلاقات القائمة بين هذه العناصر حين قال بأن (القصيدة تحتوي على نفس العناصر التي يحتوي عليها التأليف النثري ، ولهذا فالاختلاف بينهما لا بد أن يكون اختلافاً في ضم بعضها إلى بعض نتيجة لاختلاف الهدف المطروح (76).

ومع نشوء المذهبين الواقعي والطبيعي تراجع الاهتمام بالنص تراجعاً كبيراً وصار اهتمام النقد والنقاد ينصب على عوامل نشوء النص الاجتماعية منها خاصة، على الرغم من أن مفهوم (الانعكاس) الذي جاءت به المدرسة الواقعية له صلة قوية (بنظرية المحاكاة) لدى الاغريق، وكل ما فعله (الواقعيون) هو أنهم استبدلوا (المجتمع) بـ (الطبيعة) في نظرية المحاكاة

وليس لدارس أو ناقد الأدب وفق هذا المنهج ، ولا سيما اذا ما كان ذا فهم إلى للانعكاس الا ان ينقل لغة الاثار أو النصوص الأدبية إلى اثار علم الاجتماع (77).

وهناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص (Texte) بصفة عامة وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعينة خاصة الأدبية ، لكن لا يمكن الوصول إلى تحديد واضح قاطع بمجرد إيراد التعريف بل علينا أن نبني مفهوم (النص) من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكونه الدلالية من هنا فان تعريف (كريستيفا) على تشابهه - قد ظفر باهتمام خاص لأنه يطعن في كفاية النظر إلى هذا السطح ويبرز ما في النص من شبكات متعاقبة ، فهي ترى ان (النص) اكثر من مجرد خطاب أو قول إذ انه موضوع لعدد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على اساس انها ظاهرة غير لغوية بمعنى انها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها ، وبهذه الطريقة فان (النص) (جهاز غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة ويكشف العلاقة بين الكلمات التوأصلية مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها) (78). وتعريف (جوليا كريستيفا) يستخدم جملة من المفاهيم النظرية التي تدين لها (النظرية النقدية) مثل الممارسات الدلالية وتخلق (النص والتناص) فالنص ممارسة دلالية منحها علم العلامات أو السيميولوجيا - امتيازاً (79).

وتتلور هذا المفهوم للنص عند (بارت) في بحث كتبه عام 1971 بعنوان (من العمل إلى النص) قدم فيه نظرية مركزة عن طبيعة النص من مفهوم تفكيكي في الدرجة الاولى ويمكن ان يوجز باحدى النقاط الاتية (النص قوة متحولة تتجاوز جميع الاجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعاً نقيصاً يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم) (80).

ويمثل كتاب المسدي (اللسانيات من خلال النصوص 1984) اتجاهاً مغايراً في المنهج عن الكتابين السابقين ، إذ يقوم أساساً على انتقاء واستقصاء دراسات وأبحاث لعدد من الكتاب وجمعها ليتم أدراجها تحت مفهوم اللسانيات والمبدأ الأساسي الذي تنطلق منه دراسات هذا الكتاب يستند إلى كشوفات اللسانيات العامة التي كان مدار اهتمامها الأول ينصب على (علم اللغة الحديث) وهو ما مثل المحرك والدافع الأساسي الذي تحركت بموجبه اللسانيات .

وإذا كانت (اللسانيات) إلى عهد قريب تمثل مجالاً تخصصياً لايجراً أي باحث الاندفاع إلى الكتابة عنه ومن ثم فإنها شغلت قلة قليلة من النقاد المتمرسين إلا أن هذا الأمر بدأ بالتغيير تدريجياً وبدأت التحولات نحو الاهتمام صوبها تزداد إذ انعكس هذا الوعي النقدي الجديد على

جيل مرحلة أخرى من الكتاب استجابة إلى الأعمال الإبداعية التي خلفها نقاد بارزون في هذا الإطار .

ويشير (المسدي) مجموعة من الموضوعات المحورية التي شكلت بدورها دعائم وأساسيات اللسانيات من خلال تأكيد هذه الأطروحات الكيفية التي يتطور بها النسق الأدبي المنبني على الأنموذج اللساني الذي يبدأ بضرورة الاهتمام والإلمام بقوانين (علم اللغة الحديث) بحد ذاته وتقديم صورة شاملة للنظريات اللغوية الحديثة .

ومن أهم الاتجاهات البارزة التي اقتحمت التيار الأساسي للسانيات في هذا الكتاب على سبيل المثال لا الحصر لأنها كثيرة نوجزها بـ(الفروع الكبرى لعلم اللسان وعلاقاتها التكاملية المتمثلة باللسانيات العامة والوصفية والتاريخية والنظرية والتطبيقية كما اتسعت الأبحاث لتشمل اللسانيات الموسعة وفروعها الاجتماعية والنفسية، نظرية النحو التوليدي التحويلي لدى تشومسكي، علاقة اللسانيات بالسيمائية، مناهج البحث اللساني ، معيار الكلام واللسان... الخ وتتوسع الدراسات لتستوعب جميع التيارات والموضوعات البارزة المتعلقة بـ(علم اللغة الحديث) والمتخذة منه قاعدة أساسية في استراتيجياتها وممارساتها الأدبية .

ولقد كان لنظرية النقد المرتكزة على (اللسانيات) إرهابات لدى المسدي إذ لا نكاد نجد كتاباً من كتبه يخلو من الإشارة إلى مكانة (اللسانيات) وتبوأها المكانة المهمة في مؤلفاته النقدية إلا أنه أعاد النظر في هذا الموضوع مستمداً هذه المرة الاطلالة على اللسانيات من منظور باحثين آخرين طرحوا فرضياتهم وانتموا إلى تقاليد فكرية مختلفة، فالكتاب إذن احتوى على قراءات مختلفة للسانيات ومن وجهة نظر أصحابها ولم تختلف هذه الدراسات عن مشروعية خطاب اللسانيات في النقد الأدبي الحديث. ويبدو هدف الدراسة نقل الميدان المعرفي الذي مثلته اللسانيات إلى قارئ الأدب ودارسه وكانت غايتها في ذلك مستوحاة ومستمدة من (واقع علم اللغة الحديث)، وتندرج الدراسة في الإطار العام لعلم اللسانيات هذه اللسانيات التي وصفها (جان كوهين) بقوله فاللسانيات إنما أصبحت علماً يوماً كفت عن فرض القواعد واتجهت لرصد الوقائع⁽⁸¹⁾، وبناء على ذلك شكل الاهتمام بطبيعة اللغة الانسانية ظاهرة رافقت القرن العشرين على نحو خاص ، ذلك ان هذا القرن شاهد انبثاق (الالسانية الوصفية) كعلم مجتمعي يحتوي على مصطلحات ومفاهيم واضحة ودقيقة ولم ينحصر خلاله الاهتمام (باللغة) (بالالسينين) فقط بل تعداهم ليشمل الفلاسفة وعلماء السيكلوجيا⁽⁸²⁾ فلقد طرأ على النقد الأدبي مثلما طرأ على نظرية الأدب تغيرات مهمة وذلك بتأثير العلوم المجاورة كاللسانيات والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والفلسفة والحوار الذي يصنع الثقافة ولد مناهج جديدة وضعت حداً للفكرة القائلة

بوجود طريقة وحيدة للحديث عن النصوص⁽⁸³⁾ ويشير الناقد إلى منهجه في هذا الكتاب بقوله (اما مضمون هذا الكتاب فيتنزل في إطار المختارات إذ هو في مجمله نصوص منتقاة انتخبناها من كتابات متنوعة في مصادرها ومقاصدها.. ولكن انتخبنا لها كان على اساس الاقتباس والتصرف ...

ذلك اننا كنا نتصرف في صياغة النصوص بتعديل المصطلح حيناً وبالاقتطاع والتركيب حيناً آخر بل وباعادة الصوغ في بعض المواطن ...) (84).

ليبدأ الناقد رحلة الخوض والحديث عن اللسانيات الحديثة التي شهدت منذ نشأتها في أوائل القرن الحالي شهرة واسعة وهي عبارة عن دراسة اللغة علمياً ولا يعني هذا التعريف ان الانسان لم يدرس اللغة مطلقاً قبل ظهورها بل كانت اللغة منذ القدم محور الدراسات الانسانية⁽⁸⁵⁾. وتسعى (الدراسة اللسانية) بمفهومها الدقيق إلى وضع نظريات عامة خاصة بوصف اللغات وتحليلها وكان (دي سوسير) اول من ركز على ضرورة حصر الدراسة اللسانية بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته⁽⁸⁶⁾ فوظيفة علم اللسان دراسة اللغة أية لغة من حيث أنها وظيفة إنسانية اجتماعية⁽⁸⁷⁾ ، وهذا يعني انه ليس من مهام (علم اللسان) تصحيح الكلام أو الكشف عن اخطائه وانحرافاته كما ان علم اللسان ليس معنياً بمعرفة اكثر من لغة⁽⁸⁸⁾. جسدت (اللسانيات الاجتماعية) أحد المحاور التي عالجه كتاب المسدي فعلماء اللغة يضعون في إطار علم اللسانيات الاجتماعية كل الدراسات والبحوث التي تعالج العلاقات الموجودة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، وهي عند دي سوسير انتاج اجتماعي لقوى الكلام ومجموعة من النظام تمكن الافراد من ممارسة هذه القوى للتواصل داخل مجتمع ما⁽⁸⁹⁾ وترتكز اللسانيات الاجتماعية على توطيد الارتباط بين الظواهر اللغوية والاجتماعية وكان (لانطوان ميليه) احد الاعلام المناصرين للسانيات الاجتماعية اسهاماً كبيراً في استنباط نظرية اجتماعية في دراسة اللغة تؤمن بان اللغة ليست ظاهرة بسيطة إذ انها بنية مركبة من طبقات (اساليب مختلفة) تكتسب شكلها من بيئة اجتماعية معينة (لغة التجار والصناع .. الخ) ولا تتأثر عملية التشكيل بالمستوى الثقافي وطريقة الحياة في محيط اجتماعي خاص فحسب ولكن التأثير الاكبر هو للنشاط الاقتصادي والتقني للبشر⁽⁹⁰⁾ ولكي يتم تمييز اللسانيات الاجتماعية يمكن القول بأن هذا العلم حديث لا يتجاوز عمره الستينيات من هذا القرن وهو جزء من علم اللسان السلافي وجغرافية اللغة وعلم اللهجات⁽⁹¹⁾.

وأثرى تدقيق النظرية الاجتماعية الدراسات الدلالية التي اولها الفرنسيون اهتماماً فعلياً منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم ، إذ بدأ الباحثون ينظرون إلى اللغة في ضوء جديد وكان لهذه

المفاهيم أثرها اللافت للنظر في النهضة التي شهدتها الدراسة الأسلوبية للغة⁽⁹²⁾، ومن اللسانيات الاجتماعية ما هو فرع تطبيقي يهتم بمشاكل التخطيط اللغوي في مجتمع من المجتمعات لا تتوافر فيه الوحدة اللغوية وهكذا نجد بعض اللسانيين استطاعوا أن يضعوا للبلدان المتخلفة لغة موحدة عدت لغتها الرسمية⁽⁹³⁾.

وحاول الناقد تتبع جانب آخر انطلاقاً من إفرازات الدراسات اللسانية الحديثة وهي (اللسانيات النفسية) التي أبرزت فكرة العلاقة المهمة والوثيقة للغة بالدراسات النفسية وهو ما أهّل (اللسانيات النفسية) أن تتبوأ مكانة مهمة في علم النفس بحيث صار علماء النفس أكثر اهتماماً بجوانب معينة من السلوك المرتبط باللغة ومن هذه الجوانب ظاهرة التعلم والتذكر وعلاقتها باللغة وبالعمليات الرمزية ومنها أيضاً ما تؤكد عليه النظريات والدراسات الأصلية في تطور نمو الاطفال من أن نمو الكلام واللغة عند الاطفال هو ظاهرة معقدة ترتبط بجوانب وعوامل كثيرة في نمو الطفل وليس نمواً لغوياً فحسب⁽⁹⁴⁾.

ومثل القرن التاسع عشر بروز هذا الاتجاه الذي يهتم بالعلاقة بين عالم النفس والصيغ اللغوية ومن ثم تولى منظرون بارزون في مجال اللسانيات وعلم الدلالة موأصلة الجهود في مجال التراث الخاص بالمعالجة النفسية للغة في القرن العشرين⁽⁹⁵⁾.

ويحدد (سلوبين) الفارق بين اللسانيات واللسانيات النفسية في أن علماء اللغة يهتمون بالتراكيب أو البنى اللغوية في حين يهتم علماء النفس بكيفية اكتساب اللغة وكيف تقوم الأنظمة اللغوية بوظيفتها حينما يتكلم الناس ويتم فهمهم أي أن علماء النفس أكثر اهتماماً بالجوانب السلوكية للغة⁽⁹⁶⁾.

وقد وأصل الناقد التركيز على قضايا اللسانيات ليبرز الفروع الكبرى لعلم اللسان وعلاقاتها التكاملية حيث ناقش ما وضعه علماء اللسان من فروع عدة تجلت في علم اللسان العام أو علم اللسان النظري وعلم اللسان الوصفي وعلم اللسان المقارن وعلم اللسان التاريخي وعلم اللسان التطبيقي⁽⁹⁷⁾ والمقصود بعلم اللسان الوصفي طبقاً لوجهة نظر الناقد وصف اللغات في طريقة علمية دقيقة أما علم اللسان العام (النظري) فإنه يهتم بالسؤال عن كيفية تعريف عالم اللسان للموضوع اللغوي الذي يعالجه⁽⁹⁸⁾.

تصادر اللسانيات العامة على وجود وظيفة كلية تسمى (اللغة) إذ تمكن الجنس البشري من اعطاء شكل للأفكار وتبليغها فليست اللسان وفقاً لمنظورها سوى إنجازات خاصة تعتمد فرضية الكلية على ملاحظة أن اللسان يمكن ترجمة بعضها إلى بعض فلا بد إذا من وجود أنواع من التشاكل القوي بينها وهذه الأنواع من التشاكل المسماة بـ(كليات اللغة) تكون نواة

اللسانيات العامة (99)، اما موضوع اللسانيات العامة فهو (نظرية اللغة) ومناهج البحث فيها والاساس النظري لللسانيات العامة (ان اللغة ظاهرة انسانية عامة تؤدي نفس الوظائف في المجتمعات الانسانية على اختلافها) (100). وتقوم اللسانيات العامة برسم الاسس المنهجية للتحليل اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية (101)، فضلاً عن هذا يهتم (علم اللسان العام) ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللغة في المجتمعات الانسانية فاللغة لا تعيش في فراغ بل لابد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة وهنا تهدف اللسانيات العامة إلى ايضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة وتحاول ايضاح عوامل انتشار اللغات وموتها وعوامل التجديد اللغوي ومشاكل الازدواج اللغوي (102).

ويشير الناقد إلى ان (علم اللسان الحديث) يحاول بتطوير مناهجه وبالاصرار على الدقة العلمية ان يصل إلى نتائج دقيقة ولذا استبعدت من البحث في اللغة تلك الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة وأشهرها نشأة اللغة (103).

وكانت المقابلة التي أجراها (دي سوسير) في كتابه (دروس في اللسانيات العامة 1916) بين (اللسان والحديث) اهمية كبرى في تحديث مناهج اللسانيات فاللسان نظام مسجل في الذاكرة المشتركة يمكن من انتاج لفيظات لا متناهية وفهمها والحديث مجموع اللفظيات التي انجزت فعلاً، واضيف بعد دي سوسير وبخاصة من قبل اللساني الفرنسي (غوستاف غيوم) طرف ثالث هو الخطاب الذي هو المجموع اللامتناهي للفيظات الممكنة التي يمثل الحديث فرعاً منجزاً منها فيكون اللسان إذا النظام الكفيل بتوليد الخطاب وحلقنته (104).

تعد الميزة الاساسية التي تعتمد عليها اللسانيات الحديثة الفصل الذي ذكره (دي سوسير) بين اللغة والكلام فاللغة نظام وعرف ومجموعة من القوانين والقواعد الشخصية المتداخلة بينما يتألف الكلام من المظاهر الفعلية لذلك النظام في الكلام والكتابة (105)، ومن الواضح ان الالسنى يتوسل دراسة اللغة من خلال ملاحظة اكبر عدد ممكن من الكلام المتحقق وذلك بعد ان يهمل كل المتغيرات الممكن حصولها عند الأفراد أي بعد أن يحتفظ فقط بالمظاهر الثابتة والمشاركة بين جميع المتكلمين والتي تسترعي جل الانتباه من حيث انها تمثل اللغة بوصفها حقيقة مشتركة بين مجموعة افراد المجتمع الذي يتكلمها (106).

وبعد ان يبين الناقد ابعاد ومنطقات اللسانيات في تعاملها مع الظاهرة الأدبية ينتقل إلى عرض نظرية النحو التوليدي التحويلي لتشومسكي مبرزاً مبادئ واساسيات هذه النظرية واهم ما احدثته في اعتماد التراكيب اللغوية والقضايا المتصلة بها. فقد كان نشوء هذه المدرسة في اعقاب انحسار المدرسة التركيبية الوصفية بعد ان تبين قصورها عن تفسير الظاهرة اللغوية بما

يستند اليه من اسس، وجاءت هذه المدرسة لكي تضم في اطر دراستها ومناهجها (المنهج الوصفي) بما قدم من اسس للتحليل اللغوي الدقيق وتراثاً نشأ في عصر النهضة وهو (النحو الفلسفي) وجاءت هذه المدرسة رد فعل على اهتمام النحاة الوصفيين بالظواهر فقط جاعلين من الدرس اللغوي مجموعة من الخطوات التحليلية لوصف التراكيب اللغوية (107).

وحاول تشومسكي في نظريته الألسنية احياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلى (القواعد الفلسفية) أو الألسنية الديكارتية كما يدعوها، ويعني بالألسنية الديكارتية كل الابحاث اللغوية المتأثرة بمنهجية (ديكارت) ويطرح (تشومسكي) من منطلق السني علمي صرف دراسة علاقة الألسنية ببقية العلوم الانسانية لاسيما علاقتها بالفلسفة لتحل القضايا الفلسفية زاوية اساسية في تفكيره عندما يتناول بالبحث الروابط التي تقرر الاصوات اللغوية بالدلالات ومواضع اكتساب اللغة عند الطفل والكفاية الفطرية والمبادئ الكلية وقضايا تنوع اللغات (108). فقد اعتمد (تشومسكي) مستويين لدارسة جمل اللغة وميز بين البنية السطحية أي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم وبين البنية العميقة أي القواعد التي أوجدت هذا التتابع أو البنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جمل اللغة (109).

وتطرقت الدراسة ضمناً إلى التفريق الذي يجب معرفته بين (اللسانيات) و(فقه اللغة) أو ما سُمّي بـ(الفيلولوجيا) من حيث ان علم اللسان يتخذ موضوعاً لداسة اللغة من حيث هي لغة ، أي دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها سواء أكانت لغة منطوقة ام مكتوبة ومن خلال ذلك يتم التوصل إلى مجموعة من القوانين العامة التي تضع منهجاً متكاملًا صالحاً للتطبيق على اية ظاهرة لغوية وعلى أي مستوى لغوي كالمستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي، اما فقه اللغة (الفيلولوجيا) فليست اللغة هدفه الوحيد أو الاساس ففقهاء اللغة يجرون وراء دراسة الوثائق والنصوص المكتوبة ولغتها بقصد تصحيح هذه الوثائق والنصوص أو التعليق عليها أو المقارنة بينها وفقاً للظرف المعين الذي تجري فيه الدراسة (110).

وفي إطار النقد اللساني ينتمي كتاب (الأدب وخطاب النقد 2008) إلى الفكر اللساني الحديث ، ويعد من الدراسات التي تنتهج المسار اللساني ليرز المسدي في هذا الميدان الاثر العميق والواضح الذي يدين به (النقد الأدبي الحديث) إلى (المعرفة اللغوية الحديثة) أو (علم اللسان الحديث، علم اللغة) (111) فمع بقاء النقد لحقبة زمنية طويلة محافظاً على سمته التقليدية طبقاً للمسدي وهو يستعير من علوم التاريخ والاجتماع والنفس والفلسفة مادته وموضوعاته بوصفها اولى المعارف والعلوم المقترنة ببدايات ظهوره وبروزه إلى ميدان الأدب، إذ ظل طويلاً وهو يبحث ويخوض في غمار هذه العلوم قبل ان يتغير التفكير النقدي جذرياً بظهور

اللسانيات الحديثة في مستهل الستينيات تحديداً ورفضها هذه النزعة التقليدية التي غلبت على الميراث النقدي والأدبي وسعيها إلى الاحتكام أكثر ببنية العمل الأدبي عبر علاقاته اللغوية ليجد المسدي انه آن الأوان للأدب في ظل الوضع الانساني الجديد والراهن الخروج من الدوائر التي كانت تحاصره في أمر علاقته بالمجتمع ليتخطى كثيراً من الثنائيات الضدية الشائعة ويستقر به الوضع على حقيقة جديدة هي انه كيان رمزي ذو منزلة محظوظة بين عوالم الرمز التي يتألف معها معمار الجماعة ولهذا السبب بات التعامل مع الأدب على أساس انه شهادة ثقافية أكثر مما هو رسالة اجتماعية⁽¹¹²⁾ ولا يخفى ان اللحظة التاريخية التي تجلت بلحظة انفجار النظرية النقدية كما أعلن عنها المسدي لم تكن وليدة البيئة العربية وإنما كانت لها بداياتها وارهاساتها في العالم الغربي الذي مهد بشيء من التدرج لهذا الانفجار النقدي وبدء الأخذ بمفاهيمه وتحقيق فاعليته وإبراز دوره وأثره في سياق الخطاب النقدي الحديث⁽¹¹³⁾ وعلى وفق هذه النظرة التي أحدثها انفجار النظرية النقدية اكتسب مفهوم صلة اللسانيات بالنقد الأدبي أهمية كبرى لفت الانتباه إلى ان قفزة كبرى ستحدث وتركز على الاهتمام النظري الحاصل من جرّاء هذا الاقتران⁽¹¹⁴⁾.

ليستقرئ المسدي الرابطة التظافرية بين اللسانيات والنقد الأدبي من موقع الاستكشاف الا يستتمي بحسب تعبيره ويبرز الناقد في هذا الميدان مرحلتين الأولى:

توجهت اللسانيات فيها إلى خدمة نص الأدب وفيها برزت اهم المقربات النصية ولا سيما المنخرطة في ميثاق الأسلوبيات من شارل بالي إلى ماروزو والى سبيتزر ريفايتر⁽¹¹⁵⁾ وبحسب منظور المسدي كانت اهم المكاسب المعرفية المستتبطة من هذا الاتجاه هو الاحتماء الجديد الذي اكتسبته الظاهرة اللغوية بوصفها المادة الاولى والنهائية في انتاج الأدب، ويمكن القول عن هذه المرحلة أنها مرحلة البحث في الدوال⁽¹¹⁶⁾.

اما المرحلة الثانية فيحددها المسدي بالترويج لاستثمار أنموذج ياكبسون لتترائ للناقد وضعية فكرية جديدة اساسها ان اللسانيات ليست فقط في خدمة نص الأدب وانما هي ايضاً في خدمة الأدبية ذاتها ، لتشهد هذه المرحلة النقدية تربع مفاهيم الشعرية والخطاب والكيلات وتأسيس المباحث المنكبة على آليات التلقي وتقنيات السرد وهي مرحلة يراها المسدي مرحلة تحول ميلان الخط الابستيمي من الدال إلى المدلول⁽¹¹⁷⁾.

لتستحوذ بعد ذلك اغلب فصول الكتاب على ما رافق انبثاق اللسانيات وما مارسته من هيمنة وتأثير على واقع النقد الأدبي الحديث وتنامي دورها وتساعد فاعليتها في صميم الدراسة الأدبية والنقدية الحديثة في الوقت الذي رسم فيه الناقد وأوضح آفاق وأبعاد هذه العلاقة في

تاريخيتها الراهنة وخاض الناقد في أعماق السجلات المتمخضة عن اقتتران الأنموذج اللساني في تواجده مع الخطاب النقدي وما صاحب هذه العلاقة من البدء بتدشين مرحلة جديدة في حقل المنهجيات الغربية الحديثة تحديداً متمثلة بظهور (علم الأسلوب) الذي اشره الناقد بوصفه منهجاً مثل نقطة اقتحام وتسلل اللسانيات إلى النقد الأدبي في الوقت الذي كان حضور (المنهج البنيوي) يتم من خلال إطلالة النقد على مقولات علم اللسان واستعارتها (118).

وفي سياق قراءة الناقد النقدية لمفهوم المصطلح يشير إلى ان (المعرفة اللغوية الحديثة) كانت تعرف ضمناً بأحد مصطلحين : الأول هو علم اللغة وكان شائعاً في جل أفطار المشرق العربي باستثناء لبنان وجرى خلط الدارسين بينه وبين فقه اللغة (119).

أما المصطلح الثاني الذي جرى التعارف عليه فهو اللسانية التي شاعت في لبنان أكثر من غيرها من الدول لتأتي بعدها تونس في ذلك ، وكان الأصل في مولد المصطلح بحسب المسدي هو فلسطين لتحتضنه المدرسة اللبنانية وتبرز كتابات اعلامها في هذا التيار على نحو كتابات واضع هذا المصطلح الأول (أوغسطين مرموجي الدومينيكي وريمون طحان وأنيس فريحة موريس أبو ناضر وميشال زكريا (120).

وبغية إيصال ادق المفاهيم اللسانية التي اضطلع خطاب النقد برسالة تيسيرها واشاعتها على حد تعبير الناقد، فقد حدد مجال هذه المفاهيم المتمثلة بـ (اللغة والكلام واللسان) التي كثيراً ما نجدها لدى مراجعتنا للمؤلفات التي كتبت عن اللسانيات وبما يعطي كل مفهوم اسقاطيته وتميزه عن غيره من المفاهيم (121).

وضمن أرقام علاقة (اللسانيات) (بالنقد الأدبي) ينشغل الناقد بتقديم التصورات الاساسية التي تقوم عليها حدود هذه العلاقة القائمة على مبدأ التوظيف (122) وكان علم اللسان الحديث يقتفي في تطوره انطلاقاً من مسوغين اثنين:

أولاهما : ان اللسانيات لم تكن من العلوم التي تستمد علة وجودها من موضوعها فكل علم موضوع هو مادة بحثه ولكل علم منهج هو الطريقة التي يتناول بها موضوعه ولكل علم هدف هو الغاية المطلقة التي توصف خارج حدود المنفعة المحسوبة وموضوع اللسانيات هو اللغة، ولكن اللغة موضوع لاكثر من حقل معرفي لدى الانسان (123).

أما المسوغ الثاني الذي اعطى البحث اللغوي القدرة على الامتداد الشامل فهو تصور اللسانيات لما يمكن ان تؤديه اللغة وتعطيه لمختلف المجالات الانسانية الاخرى وهذا يعني ان اللغة تشكل مركزاً حيويّاً وضرورياً يمكن ان تلقي عندها مختلف المسالك العلمية والمتباينة (124).

ويكشف الناقد وبوضوح عن أهمية (البحث اللغوي) في تطور مسار النقد الحديث لاسيما أنه واكب الأدب العربي لحقبة زمنية طويلة امتدت لزمن ابعـد من تنظيرات الاغريق والرومانيين والهنود (125).

وبحلول القرن التاسع عشر اثبت (البحث اللغوي) ان بمقدوره ان يحقق قفزة منهجية هي قرينة النقلة الكمية وكان دور اللسانيات في هذا التحول مع مطلع القرن العشرين حين التزمت اللسانيات بتحقيق نقلة نوعية ثابتة حيث بدأت اللسانيات منذ ذلك الحين بقطيعة منهجية تراكتت افرازاتها من جرّاء هذا الامر حتى تحولت إلى ما يشبه (القطيعة الابستيمية) (126).

ومن الواضح ان كل هذه التغيرات ترتبط بمؤسس اللسانيات الحديثة (دي سوسير) وبفضل جهوده في تخلص (البحث اللغوي) من اسر الرؤية التاريخية وعرضها على (عدسة المجهر الانّي) ليكون ذلك إيذاناً بمولد اللسانيات المعاصرة (127).

ومن هنا بدأت تصاغ حدود نظرية جديدة لواقع الدراسات اللسانية الحديثة وتأكيدها على الواقع اللغوي الصرف بمعزل عن مظاهر البحث الاخرى وجوانبها التاريخية والفكرية .

ولا بد من القول أن هذه الدراسات اللسانية الحديثة كانت قد وجدت ضالتها وغايتها في (البحث اللغوي) (علم اللغة العام) منذ بواكيرها الاولى حيث وجدت هذا العلم أكثر ملاءمة وانسجاماً مع اجراءاتها القائمة على الخوض في (مجريات البحث اللغوي) اكثر من ارتباطها باي شيء اخر (128).

ويستمر المسدي بتقديم المهاد النظري المتعلق بعلاقة (اللسانيات) (بالنقد الأدبي) بوصف اللسانيات معرفة علمية للظاهرة اللغوية، بينما يتسم النقد الأدبي بوصفه معرفة تتشد أقصى حظوظ الموضوعية في مجال الظاهرة الابداعية داخل مؤسسة اللغة (129) .

وتحقق المنعرج الحاسم في امر هذه العلاقة بين (اللسانيات) و(النقد الأدبي) طبقاً للمسدي علي يد (رومان ياكسون) وذلك في المخطط الذي صاغه وقدمه في مؤتمر جامعة انديانا وكان عنوانه (اللسانيات والشعرية) وفيه عالج (ياكسون) نقدياً ما اصطلح على تسميته بـ (اركان الجهاز التوألي) المتكون من باث ومتقبل وقناة وسنن ورسالة وما آلت اليه من استنباط للوظائف الست المقترنة بتلك الاركان، وتلك الوظائف هي : التعبيرية والافهامية والمرجعية فالانتباهية فالانعكاسية ثم (الوظيفة الشعرية) التي وسماها بان نص الكلام فيها هو المقصد بذاته من حيث انه يشكل علة وجود الخطاب الأدبي (130) .

وعلى أهمية هذا الحدث الأدبي وما أدى إليه من انبثاق أنموذج التضافر المعرفي على يد (رومان ياكسون) وما أحدثه من حصول التزاوج والاقتران بين (العلم اللغوي والعلم

الأدبي) أي (اخصاب النقد باللسانيات) فان اصول هذه العلاقة تشير إلى استقطابها من لدن عالم لغوي اخر هو (ادوارد سابير) صاحب النظرية الذهنية في اللسانيات، فلقد تأثرت (اللسانيات المعاصرة) تأثراً عميقاً بالافكار التي قدمها (سابير) ولاسيما في كتابه (اللغة) الذي أعاد فيه صياغة (الصلة بين المعرفة اللغوية والأدبية) وذلك خارج دائرة التيار النقدي السائد آنذاك والذي تولدت معه وتنامت (النظرية الشكلانية في النقد الأدبي) من جهة أولى وخارج دائرة التأثير بنظرية فردينان دي سوسير التي لم يعرفها (ادوارد سابير) وهو في اوج عطائه من جهة ثانية (131).

ويتجلى الاسهام المهم لنظرية سابير المندرجة ضمن اطار اللسانيات الذهنية كما سمّاها خصومها من السلوكيين والتوزيعيين الشكلانيين هو ان كل نظام من تلك الأنظمة العروضية نابع من الخصائص الخفية في كل لغة وهي خصائص لا واعية لذلك فهي ذات فاعلية قصوى لانها تخرج تلقائياً على افواه المتكلمين بتلك اللغة (132) ويتوج سابير تحليله بهذه المراهنة المباشرة : (ان تدرس بدقة النظام الصوتي لاي لغة من اللغات لاسيما امكاناتها الفاعلة يكن بوسعك ان تعرف أي نوع من أنواع الشعر أفرزته تلك اللغة فان يكن قد اعترافها في تاريخها بسبب ادخل الاضطراب على آلياتها فلم يظهر ما توقعت فتكون قادراً على أن تقول أي ضرب من أضرب الشعر كان عليها ان تتشيء أو أي ضرب من اضربه ستتشيء في يوم من الايام (133).

ويعود الفضل (لسابير) على حد قول المسدي في تطوير العديد من مفاهيم اللسانيات فقد كان رائدها الابرز طوال العشرينيات من القرن العشرين ، الا ان تأثره بالمذهب النفسي وإغراقه فيه عند تناوله الظواهر اللغوية والثقافية، ثم مغالاته في التمسك بنظرية نفسية عدت أحادية البعد لأنها لا تقر الا بالمقوم الباطني المتعين بمصادره الحسية وتصرفي مجال اللغة على إهمال شأن الوظائف وقصر الاهتمام على الأشكال هي التي سوغت فيما بعد بتراجع آراء (سابير) وأهمية نظريته ومما زاد آراء سابير ضموراً في تلك الحقبة تنامي النظرية السلوكية في مجال علم النفس العام واكتساحها فضاء البحث اللغوي تدريجياً إلى ان استقامت مركزيتها مع (ليونار بلومفيلد) في كتابه الصادر سنة 1933 بعنوان (اللغة) (134).

ليخرج الناقد بعد هذا العرض (لنظرية سابير) إلى التنبيه على ان (سابير) احكم أدوات الربط المنهجي بين مناهل المعرفة المختلفة ليركز على مد جسور التفاعل بين اللسانيات وعلم الاجناس البشري الذي ينكب على دراسة الاعراف والمسمى بالانتوغرافيا هذا المصطلح الذي نهل منه (ليفي شتراوس) قبل تكريسه لخيار الاناسي (الانتروبولوجي) (135). وبذلك باتت

المرحلة النقدية المتأسسة مع (سابير) وما تلاها تستقي من التاريخ وعلم النفس والفلسفة ودائرة العلوم الطبيعية ولاسيما في مشربها الفيزيائي والفيزيولوجي ليتأكد ان البحث اللساني ذو مركزية في مجال المعرفة التي هي صنو مركزية اللغة في كل عملية فكرية وفي كل مسعى علمي (136).

ويشير الناقد في موضع اخر من الدراسة إلى الجدل الحاد الذي اثارته مجمل المنهجيات الحديثة عند ولوجها ساحة النقد العربي الحديث، ومع تبني العديد من النقاد العرب لها الا ان الصراع احتدم بين مؤيديها ومناهضيها لتتصدر المشروع العربي النقدي خلال السبعينيات من القرن العشرين وتتوزع بين بنيوية وأسلوبية ولسانيات وتفكيكية وسميائية (137) هذه المنهجيات التي كثيراً ما وسماها النقاد والباحثون بالغموض والتعقيد وجرى ان يخلط الدارسون فيما بينها لكنها في الوقت نفسه لفتت اليها الانظار، واكتسبت اهميتها عقب التطورات الحاصلة في مجال اللسانيات والأدب مما مهد لبداية عهد جديد استوجب اهتماماً خاصاً ومحاولة استيعابه من منظور التعامل مع الظاهرة النقدية على اساس المرحلة الزمنية التي تمثلها (138).

وادرج المسدي تبعاً لهذا المفهوم وضمن التيار النقدي المتفاعل مع اسس ومبادئ المنهجيات الحديثة من النقاد العرب البارزين عزالدين اسماعيل، شكري محمد عياد، مصطفى ناصف، عبد القادر القط، محمود الربيعي (139).

يقول د. شكري محمد عياد في هذا الصدد (بعض نقاد هذه الايام يحاولون تطبيق نظريات النقد الغربية كالبنوية والتفكيكية ولكن هذا النوع من النقد لا يؤدي إلى التوصل الثقافي مع الجمهور بل يجعل القارئ نافراً منه...) (140).

الخاتمة :

عرفت المدونة النقدية العربية مع المسدي عهداً جديداً اتسم بتجديد الرؤى والافكار وبدء شق تيارات نقدية جديدة تلقي بظلالها على الواقع النقدي، فمسيرة الأدب بدأت بالتغيير تدريجياً ويكمن خلف هذا الامر العديد من المؤثرات التي بدأت تمارس تأثيرها وتبين دورها الذي مارسه على واقع النقد الأدبي والنقطة الاساسية فيها تكمن في استبعاد الماضي واستحضار مفاهيم جديدة مثل اللسانيات والبنوية والأسلوبية والسميائية والشعرية وقد لا يكون الامر مقتصر على بل يتعداه إلى بروز مفاهيم نقدية أخرى حديثة مشتقة من سياق العمل الأدبي فمع ما جسده فلسفة المناهج الخارجية من اتاحت فهم الأدب والنقد كما برز في واقع نقد القرن التاسع عشر واعادتها تأسيس جملة المبادئ التي تستند بدورها إلى الواقع الاجتماعي والنفسي والتاريخي، واجتهادها في ربط واقع النص الأدبي بثمرة هذه المؤثرات والانعكاسات ومن ثم

رأت في النص الأدبي صدى لهذه الرابطة التضافرية المبنية على هذا الأساس، إلا أن تطور مفاهيم الأدب والنقد كان يحذو إلى عدم الرجوع ومعاودة مفاهيم هذه المنهجيات ذات النزعات الانسانية المتباينة دون ان يعني ذلك رفض مجمل التأثيرات التي تتركها بمضامينها مع عدم اغفال الدور الذي تؤديه هذه المضامين والذي نسجت حوله الكثير من الدراسات وعدت من أهم الانجازات والمكاسب المتحققة ابان القرن التاسع عشر . وعن طبيعة هذا الحوار القائم بين المناهج اقام المسدي دراساته ذات البصمات الواضحة الآثار والابعاد مواكبة لروح العصر وفهم التغيرات التي تطرأ على بنية العمل الفني ورغبته في التخلص من ربة وجمود الدراسات الانطباعية التي لن تمد الأدب الا بمفاهيم خارجة عن إطار بنيته الفعلية وجماليته.

الهوامش :

- (1) الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، ص15 وما بعدها.
- (2) ينظر : م. ن، ص16 وما بعدها.
- (3) ينظر : م. ن ، ص8.
- (4) م. ن: 8.
- (5) م. ن ، ص8.
- (6) الشعرية، تودوروف ، ص16.
- (7) ينظر : الأسلوبية والأسلوب، ص8.
- (8) م. ن، ص8.
- (9) الأسلوبية والأسلوب ، المسدي ، ص8 وما بعدها.
- (10) م. ن، ص9.
- (11) ينظر: م. ن ، ص9.
- (12) الشعرية : تودوروف ، ص15.
- (13) اللسانية (علم اللغة الحديث) د. ميشال زكريا : 11 وما بعدها.
- (14) ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، ص21 وما بعدها .
- (15) ينظر : م . ن ، ص25.
- (16) قضايا الشعرية ، رومان ياكسون ، ص24.
- (17) الأسلوبية والأسلوب ، ص41.
- (18) م. ن ، ص41.
- (19) ينظر : م . ن ، ص38، ص40.

- (20) الشعرية تودورف ، ص32.
- (21) ينظر: الأسلوبية والأسلوب ، ص50 وما بعدها.
- (22) ينظر: م.ن ، ص54 ، وما بعدها.
- (23) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ص16.
- (24) م. ن ، ص15.
- (25) الأسلوبية والأسلوبية ، ص44 .
- (26) م. ن ، ص45.
- (27) م . ن ، ص43 .
- (28) م. ن ، ص44 .
- (29) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف غليسي ، ص178 .
- (30) علم الأسلوب د. صلاح فضل ، ص147 وما بعدها .
- (31) ينظر : الأسلوب والأسلوبية ، بيرجيو ، ص33.
- (32) اتجاهات الشعرية الحديثة : يوسف أسكندر ، ص85 وما بعدها .
- (33) م. ن ، ص86.
- (34) علم الأسلوب ، د. صلاح فضل ، ص154.
- (35) اتجاهات الشعرية الحديثة ، يوسف اسكندر ، ص89 وما بعدها.
- (36) علم الأسلوب ، ص155.
- (37) ينظر : النقد الأدبي في القرن العشرين ، جان ايف تادييه ، ص284.
- (38) ينظر : النقد البنيوي الحديث د. فؤاد ابو منصور ، ص68.
- (39) ينظر : الأسلوبية الرؤية والتطبيق د. يوسف ابو العدوس ، ص38.
- (40) اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، د. يوسف غليسي ، ص176.
- (41) النقد البنيوي الحديث ، ص69.
- (42) ينظر : مبادئ علم الأسلوب العربي د. شكري محمد عياد ، ص33.
- (43) ينظر : م.ن ، ص33 .
- (44) م . ن ، ص33 .
- (45) مبادئ علم الأسلوب العربي ، ص33 وما بعدها .
- (46) معايير تحليل الأسلوب : ميكائيل ريفابتر ، ص16.
- (47) ينظر : مبادئ علم الأسلوب ، ص34.
- (48) اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، د. يوسف غليسي ، ص180 .
- (49) مبادئ علم الأسلوب العربي، ص35.
- (50) ينظر : في آليات النقد الأدبي ، د. عبد السلام المسدي ، ص59.

- (51) م. ن ، ص 59 وما بعدها .
- (52) م. ن ، ص 61 التفصيلات أكثر يراجع الفصل الخاص لهذا الموضوع من ص 55-73.
- لأننا سبق ان اشرنا لهذه الروابط في بداية بحثنا.
- (53) ينظر : في آليات النقد الأدبي ، المسدي ، ص 15 وما بعدها.
- (54) ينظر : م. ن ، ص 15.
- (55) م. ن ، ص 17.
- (56) م. ن ، ص 19.
- (57) م. ن ، ص 23.
- (58) م. ن ، ص 25 وما بعدها.
- (59) م. ن ، ص 18.
- (60) م. ن ، ص 19.
- (61) النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ص 13.
- (62) م. ن ، ص 13.
- (63) ينظر: في آليات النقد الأدبي ، المسدي ، ص 22 وما بعدها.
- (64) ينظر : م. ن ، ص 31 وما بعدها.
- (65) ينظر : م. ن ، ص 32.
- (66) ينظر : في آليات النقد الأدبي ، المسدي ، ص 32 وما بعدها.
- (67) م. ن ، ص 33.
- (68) م. ن ، ص 33.
- (69) م. ن ، ص 33.
- (70) ينظر: م. ن ، ص 34.
- (71) م. ن ، ص 34 .
- (72) ينظر: م. ن ، ص 35.
- (73) م. ن ، ص 36.
- (74) ينظر : م. ن ، ص 39 وما بعدها .
- (75) ينظر : م. ن ، ص 47.
- (76) مجلة الاقلام ، ص 69.
- (77) م. ن ، ص 70.
- (78) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، ص 229.
- (79) م. ن ، ص 230 .
- (80) م. ن ، ص 231 .

- (81) بنية اللغة الشعرية : جان كوهن، ص18.
- (82) اللسانية (علم اللغة الحديث) د. ميشال زكريا ، ص11.
- (83) النقد الأدبي في القرن العشرين ، جان ايف تأدييه ، ص15.
- (84) اللسانيات من خلال النصوص المسدي، ص 6.
- (85) م. ن ، ص11.
- (86) اللسانية ، د. ميشال زكريا ، ص144.
- (87) اللسانيات من خلال النصوص ، ص50.
- (88) م. ن ، ص49.
- (89) اللسانيات من خلال النصوص ، ص171.
- (90) اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا افينتس ، ص132 وما بعدها.
- (91) اللسانيات من خلال النصوص ، ص172 .
- (92) اتجاهات البحث اللساني ، ص133.
- (93) اللسانيات من خلال النصوص ، ص173.
- (94) م. ن ، ص164.
- (95) ينظر : اتجاهات البحث اللساني ، ص78.
- (96) اللسانيات من خلال النصوص، ص164 .
- (97) ينظر : م. ن ، ص133 وما بعدها.
- (98) ينظر: اللسانيات من خلال النصوص ، ص134.
- (99) مدخل لفهم اللسانيات ، روبير مارتان ، ص89.
- (100) اللسانيات من خلال النصوص، ص137.
- (101) م . ن ، ص137.
- (102) م . ن، ص138.
- (103) م. ن ، ص138
- (104) مدخل لفهم اللسانيات ، روبير مارتان ، ص65 وما بعدها.
- (105) اتجاهات في النقد الأدبي الحديث ، ص112.
- (106) اللسانية : علم اللغة الحديث، ص228 .
- (107) اللسانيات من خلال النصوص ، ص105.
- (108) اللسانية 266.
- (109) م. ن ، ص267.
- (110) اللسانيات من خلال النصوص ، ص49 وما بعدها.
- (111) ينظر : الأدب وخطاب النقد المسدي ، ص9.

- (112) ينظر: م. ن ، ص5.
- (113) ينظر: م . ن ، ص9.
- (114) ينظر: م . ن ، ص18.
- (115) ينظر: م. ن ، ص 19 .
- (116) م . ن ، ص 19 .
- (117) ينظر : م . ن ، ص 19 .
- (118) ينظر : الأدب وخطاب النقد ، ص 67 .
- (119) ينظر : م.ن، ص61.
- (120) ينظر : م.ن، ص62.
- (121) ينظر : م.ن ، ص71.
- (122) ينظر : م . ن، ص78.
- (123) ينظر : م . ن، ص79.
- (124) ينظر : الأدب وخطاب النقد ، ص80.
- (125) ينظر : م . ن ، ص84.
- (126) ينظر : م.ن، ص84.
- (127) ينظر : م . ن ، ص84
- (128) م . ن ، ص84.
- (129) م. ن ، ص111.
- (130) ينظر : م . ن ، ص112 وما بعدها .
- (131) ينظر: م. ن ، ص122 وما بعدها.
- (132) م. ن ، ص130.
- (133) م . ن ، ص130 وما بعدها .
- (134) م. ن، ص131.
- (135) ينظر: م. ن، ص136 .
- (136) ينظر: م. ن، ص136 .
- (137) ينظر: م. ن، ص183.
- (138) ينظر: م. ن، ص183 وما بعدها .
- (139) ينظر: م. ن، ص183 وما بعدها .
- (140) م. ن، ص187 .

المصادر :

- 1- اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا فينش، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ، د. ت .
- 2- اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، د. يوسف اسكندر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2008.
- 3- اتجاهات في النقد الأدبي الحديث، تأليف مجموعة من النقاد ، تر: د. محمد درويش ، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2009.
- 4- الأدب وخطاب النقد ، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
- 5- الأسلوب والأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة : منذر عياشي، د. ت .
- 6- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو الحدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007.
- 7- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، ط5، 2006.
- 8- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، د. يوسف غليسي، الدار العربية ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
- 9- الألسنة علم اللغة العام، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1980.
- 10- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل، 1992.
- 11- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، د. ت .
- 12- الشعرية، ترفيطان تودوروف، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، ط2، 1990.
- 13- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.
- 14- في آليات النقد الأدبي، د. عبد السلام المسدي ، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994 .
- 15- قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط1، 1988.
- 16- اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، 1984.
- 17- مبادئ علم الأسلوب العربي، د. شكري محمد عياد ، ط1، 1988.

- 18- معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة وتقديم ، د. حميد لحداني، منشورات دراسات رسال، ط1، 1993.
- 19- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، ط1، بيروت، 1982.
- 20- النقد الأدبي في القرن العشرين ، جان ايف تادييه ، تر: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة- المعهد العالي للفنون المسرحية ، ط1، دمشق، 1993.
- 21- النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا، د. فؤاد أبو منصور ، دار الجيل، ط1، بيروت، 1985.